

Texte 4 – Proposition de corrigé

نَحْنُ الْحَضَارَاتِ بِنَا نَعْلَمُ الْيَوْمَ أَنَّنَا مَائِنَاتٌ. فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ عَوَالِمَ بِكَامِلِهَا دَثَرَتْ وَإِمْبِرَاطُورِيَّاتِ بِكُلِّ أَنَا سَهَا
وَأَلَا تَهَا أَتَهَارَتْ وَغَرَقَتْ حَتَّى أَدْرَكْتَ قَاعَ الْعُصُورِ غَيْرَ الْقَابِلِ لِلْاِكْتِشَافِ بِأَهْلِهَا وَقَوَانِينِهَا وَبِاَكَادِمِيَّاتِهَا وَعُلُومِهَا
الْمَحْضَةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ وَبِكُتُبِهَا فِي النَّحْوِ وَمَعَامِجِهَا وَبِأَدْبَائِهَا الْكَلَّاسِيكِيِّينَ وَالرُّومَانِيكِيِّينَ وَالرَّمَزِيِّينَ وَبِنُقَادِهَا
وَنُقَادِ نُقَادِهَا. كُنَّا نَعْلَمُ حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ كَافَّةَ الْأَرْضِ الظَّاهِرَةَ مَصْنُوعَةٌ مِنْ رَمَادٍ وَأَنَّ لِلرَّمَادِ دَلَالَةً فَنُبْصِرُ عَبْرَ
كثافة التاريخ أشباح سُفُنٍ ضَحْمَةٍ مَشْحُونَةٍ نُرُوءَ وَرُوحاً وَمَنْ نُحْسِنُ إِحْصَاءَهَا. إِلَّا أَنَّ وَقَائِعَ الْعَرَقِ تِلْكَ لَمْ
تُكُنْ تَعْنِينَا.

كَانَتْ عِيَالُ وَنِيْنَوِي وَبَابِلُ بِمَثَابَةِ أَسْمَاءِ حَمِيْلَةٍ يَكْتَنِفُهَا الْعُمُوضُ وَمَنْ يَكُنِ الْاَلْهِيَارُ الْكَامِلُ لِنِتْلِكَ الْعَوَالِمِ
يَعْنِينَا مِثْلَمَا لَمْ يَعْنِينَا وُجُودُهَا بِعَيْنِهِ. إِلَّا أَنَّ "فَرَنْسَا" وَ"إِنْكَلْتِرَا" وَ"رُوسِيَا" قَدْ تُشَكِّلُ أَسْمَاءَ حَمِيْلَةٍ أَيْضاً. وَكَذَلِكَ
الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِاسْمِ "الْوَسِيْتَانِيَا" : إِنَّهُ حَمِيْلٌ. أَصْبَحْنَا نُلَاحِظُ الْيَوْمَ أَنَّ هُوَةَ التَّارِيخِ قَدْ تَسَعُ الْقَاصِي وَالدَّائِي
كَمَا يَنْتَابُنَا الشُّعُورُ بِأَنَّ لِلْحَضَارَةِ هَشَاشَةَ الْحَيَاةِ وَأَنَّ الظُّرُوفَ الَّتِي تَبَعَتْ آثَارَ كَيْتِس وَبُودَلِيْرٍ إِلَى حَيْثُ آثَارِ
مِينَانْدَرُوسٍ لَمْ تَعُدْ مِنْ غَيْرِ الْمَتَّصُورِ فَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي الْجُرَائِدِ.

لَيْسَ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ. فَإِنَّ الْعِبْرَةَ الشَّائِكَةَ تَبْلُغُ اِكْتِمَالَهَا إِذْ لَمْ يَعُدْ يَكْفِي لِحِيلِنَا اَلْتَعْلُّمُ بِتَجْرِبَتِهِ الْخَاصَّةِ
كَيْفَ أَجْمَلِ الْأُمُورِ وَأَقْدَمُهَا وَأَرْوَعُهَا وَأَكْثَرُهَا تَرْتِيْباً يُصِيْبُهَا اَلْهَلَاكُ عَرَضاً فَإِنَّهَا شَاهَدَتْ حُدُوثَ ظَوَاهِرِ خَارِقَةٍ
لِلْعَادَةِ وَتَحْقِيقاً مُبَاغِتاً لِتَنَاقُضَاتٍ وَحَيَاتٍ فُجَائِيَّةٍ لِمَا هُوَ بِدِيْهِيٍّ وَذَلِكَ عَلَى صَعِيدِ الْفِكْرِ وَالْحَسَنِ الْجَمَاعِيِّ
وَالشُّعُورِ. سَأَكْتَفِي بِذِكْرِ مِثَالٍ وَاحِدٍ : إِنَّ الْفَضَائِلَ الْكُبْرَى لِلشَّعْبِ الْاَلْمَانِيِّ اأَحْدَثَتْ أَضْرَاراً أَكْثَرَ مِمَّا أَحْدَثَتْ
الشُّعُورُ بِالْبَطَالَةِ مِنْ رَدَائِلِ. وَشَاهَدْنَا بِأَمِّ الْعَيْنِ تَكْيُفَ الْعَمَلِ الْمُتَّعِنِ وَالذَّقِيقِ وَالتَّرْبِيَّةِ الْاَكْثَرَ صِلَابَةً وَالتَّهْذِيْبِ
وَالْعِنَايَةِ الْاَكْثَرَ جِدّاً بِأَرْوَعِ الْمَشَارِيْعِ وَالتَّوَايَا.

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْقَدْرُ مِنَ الْفُضَائِلِ مُمَكِّناً دُونَ قَدْرِ مُمَاتِلٍ مِنَ الْفُضَائِلِ. وَلَعَلَّ الْأَمْرَ اأَفْتَضَى لَا مَحَالَةَ عِلْماً
وَفِيْرًا لِلتَّمَكُّنِ مِنْ قَتْلِ عَدَدِ هَائِلٍ مِنَ الْبَشَرِ وَدَرْسِ كَمِّ هَائِلٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَتَحْقِيقِ قَدْرِ هَائِلٍ مِنَ الْمُدُنِ فِي وَقْتِ

قَصِيرٌ جِدًّا. غَيْرَ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَفْتَضِ كَمَا أَقَلَّ مِنْ الْجِبَالِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. يَا أَيُّهَا الْعِلْمُ وَيَا أَيُّهَا الْوَاجِبُ أَنْتُمَا
مُسْتَبَهُ فَيَكُمَا؟

مِنْ "أَزْمَةِ الرُّوحِ" لِبول فاليري (١٩١٩)